العيش وِفقًا للإنجيل

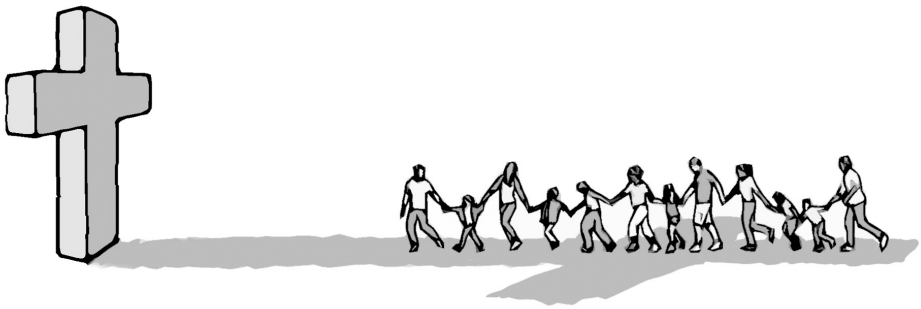

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ٨: ٢٠-٢٣؛ إنجيل يوحنا ٣: ١٦، ١٧؛ إنجيل متى ٩: ٣٦؛ أفسس ٢: ٨-١٠؛ ١يوحنا ٣: ١٦، ١٧؛ رؤيا يوحنا ١٤: ٦، ٧.

آية الحفظ: «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أفسس ٢: ٨-١٠).

حالما نتكلَّم عن وصايا الله، ومطاليبه أو إرشاداته وتعليماته، نتعرَّض لخطر — أو حتى نواجه تجربة — الاعتقاد أو التفكير أنه بطريقة ما يمكننا أن نكتسب أو نُساهم في خلاصنا أو نحصل على فضل الله. لكن الكتاب المقدس يُخبرنا مرارًا وتكرارًا بأننا خُطاة مُخلَّصون بنعمة الله من خلال يسوع وموته البديل لأجلنا على الصليب. ما الذي في استطاعتنا أن نضيفه إلى هذا بأي طريقة؟ أو، كما كتبت ألن هوايت: «لو أنك جمعت معًا كل ما هو حسن ومُقدَّس ونبيل وجميل في الإنسان ثم عرضت الموضوع على ملائكة الله لينظروا إلى هذه الأمور على أنَّ لها دورًا فعّالًا في خلاص النَّفس البشرية أو في استحقاقها، سيتم رفض هذا العرض أو الاقتراح باعتباره خيانة» (روح النبوة، الإيمان والأعمال، صفحة ٢٤).

وهكذا، وبالإضافة إلى ذلك، فحتى أعمال الرحمة واللطف والعطف التي نقوم بها نحو من هم في احتياج يجب ألا يُنظر إليها على أنها مفروضة أو قانونية. على نقيض ذلك، فإننا إذ ننمو في فهمنا وتقديرنا للخلاص، فإنَّ الرابط بين محبة الله واهتمامه بالفقراء والمظلومين سينتقل إلينا، نحن المتلقين لمحبته. لقد أُعيطنا، وهكذا سنعطي. عندما نرى كم أحبنا الله، نرى أيضًا كم يحب الآخرين ويدعونا لمحبتهم، كذلك.

* نرجو التعمُّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم ٧ أيلول (سبتمبر).

«لأنه هكذا أحبَّ الله...»

تقول الآية في إنجيل يوحنا ٣: ١٦ «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم...» — والكلمة الأصلية في اللغة اليونانية هي kosmos، وتعني ‹العالم كما خُلِق، كيان منظم.› SDA Bible Commentary, vol. 5, p. 929. هذه الآية هي عن الخلاص للبشرية، ولكن خطة الخلاص لها آثارها على الخليقة بشكل عام أيضًا.

اقرأ رومية ٨: ٢٠-٢٣. ما الذي تُعلِّمنا إياه هذه الآيات عن المنحى الأوسع لخطة الخلاص؟

بالطبع، وعلى صعيد واحد، الخلاص هو عن كل واحد منا في علاقته الشخصية مع الرب. ولكن هناك المزيد. فالتبرير في الحقيقة ليس مُجرَّد الحصول على غفران الخطايا. من الناحية المثالية، يجب أن يكون أيضًا عن كيف يخلق الرب عائلة الله، بواسطة يسوع وقوة الروح القدس، عائلة تحتفل بغفران خطاياها وتحتفل بثقتها في الخلاص، وسط أمور أخرى، كونهم شهود للعالم من خلال أعمالهم الصالحة.

اقرأ إنجيل يوحنا ٣: ١٦، ١٧. كيف يُساهم العدد ١٧ في فهم أوسع للعدد ١٦؟

يمكننا أن نَتَقَبَّل بأن الله يحب أناسًا آخرين غيرنا وليس نحن فقط. إنه يحب أولئك الذين نحبهم، ونحن نبتهج لذلك. وهو يحب أيضًا أولئك الذين نتواصل معهم، وإدراكنا لهذه الحقيقية غالبًا ما يكون دافعنا وراء تواصلنا معهم. ولكنه يحب أيضًا أولئك الذين لا نستريح إليهم، أو حتى نخشاهم. الله يحب كل الناس، في كل مكان، حتى أولئك الذين قد لا نحبهم بشكل خاص.

إنَّ الخليقة هي إحدى الطرق التي نرى فيها تفسيرًا لذلك. يُشير الكتاب المقدس بصورة مستمرة إلى العالم حولنا كشاهد ودليل على صلاح الله: «فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين» (إنجيل متى ٥: ٤٥). حتى الحياة ذاتها هي عطيَّة من الله، وبغض النظر عن استجابة الشخص أو موقفه من الله، فكل شخص هو مُتلقٍّ أو مُستقبِل لتلك العطية أو الهبة.

كيف يجب أن يتغيَّر سلوكنا نحو الآخرين وظروفهم عندما نُدرك بأنهم خليقة الله ومحبوبون منه؟

العطف والتوبة

إنَّ القصص المتشابكة والمتداخلة للخلاص والصراع العظيم تدعونا للاعتراف بحقيقة أن الحياة هي أساسية لفهمنا عن عالمنا وأنفسنا، هذه الحقيقة هي: نحن وعالمنا ساقطون، محطَّمون، وخطاة. إنَّ عالمنا ليس كما خُلِق ليكون عليه، ومع أننا ما زلنا نحمل صورة الله الذي خلقنا، إلا أننا جزء من حطام العالم. الخطية في حياتنا هي من نفس طبيعة الشر الذي يتسبب في الكثير من الألم والظلم والاستغلال في كل أنحاء العالم.

ولهذا، من حقِّنا أن نشعر بالألم، والمشقَّة، والحزن، ومأساة العالم وحياة الذين مِن حولنا. علينا أن نكون مثل الإنسان الآلي حتى لا نشعر بآلام الحياة هنا. إنَّ الرثاء في سفر المزامير، والأحزان في سفر إرميا والأنبياء الآخرين، ودموع وشفقة وتحنن وعطف يسوع تدلُّ على مدى ملائمة هذا الشكل من الاستجابة إلى العالم وشرِّه، وخاصة تجاه أولئك الذين غالبًا ما يتألمون بسبب الشر.

اقرأ إنجيل متى ٩: ٣٦؛ إنجيل متى ١٤: ١٤؛ إنجيل لوقا ١٩: ٤١، ٤٢؛ وإنجيل يوحنا ١١: ٣٥. ما الذي جعل يسوع في كل من هذه الآيات يمتلئ بالعطف والحنان والشفقة؟ كيف يمكن أن يكون لدينا قلب يلين نحو آلام الذين هم حولنا؟

علينا أيضًا أن نتذكَّر بأن الخطية والشر ليسا ‹في الخارج›، أو نتيجة لانكسار شخص ما. «إن كُنَّا ندَّعي أن لا خطيئة لنا، نخدع أنفسنا، ولا يكون الحق في داخلنا» (١يوحنا ١: ٨ ترجمة كتاب الحياة). في مفهوم أنبياء الكتاب المقدس، كانت الخطية مأساة ليس أساسًا لأن شخصًا ما كسر ‹القانون أو الشرائع›، ولكن لأن الخطية كسرت العلاقة بين الله وشعبه، وأيضًا لأن خطايانا تسبب الألم للآخرين. قد يحدث ذلك في حدود ضيقة أو على نطاق أوسع، ولكن الشر هو نفسه.

الأنانية، والطمع، والخبث، والتَّعصُّب، والتجاهل أو اللامبالاة، وعدم الاهتمام هي أصل كل شرور العالم، الظلم والفقر والقهر. والاعتراف بإثمنا وخطأنا هو الخطوة الأولى في مواجهة هذا الشر، كما أنه الخطوة الأولى تجاه السماح لمحبة الله أن تأخذ مكانها الصحيح في قلوبنا: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يوحنا ١: ٩).

انظر إلى نفسك (ولكن ليس عن قُرب ولا لوقتٍ طويل). في أية نواحٍ أنت مُحطَّم (منكسر) وجزء من المشكلة الأعظم؟ ما هو الجواب الوحيد، والمكان الوحيد للنظر إليه؟

النعمة والأعمال الصالحة

لخِّص أفسس ٢: ٨-١٠ بكلماتك الخاصة. ما الذي تقوله لنا هذه الآيات عن العلاقة بين النعمة والأعمال الصالحة؟

يُخبرنا الكتاب المقدس، من بين أشياء أخرى، بأننا خلقنا لنعبد الله ولنخدم الآخرين. فقط في مخيلتنا يمكننا أن نحاول فهم ما يمكن أن تكون عليه هذه الأفعال في بيئة بلا خطية.

حاليًا، وبسبب الخطية، نحن نعرف عالمًا مُحطَّمًا وساقطًا فقط. ولحسن حظنا، فإنَّ نعمة الله، التي ظهرت وتثبتت في تضحية يسوع لأجل خطايا العالم، تفتح الطريق للغفران والشفاء. وهكذا، حتى وسط هذا الكيان المُحطَّم تصبح حياتنا من عمل الرب كليًا، ويستخدمنا الله في شركة معه سعيًا لشفاء وترميم الضرر والألم في حياة الآخرين (انظر أفسس ٢: ١٠). «فالذين يناولون عليهم أن يوزعوا على الآخرين. إنَّ صرخات طلب العون تأتي من كل صوب. والله يطلب رجالًا ليخدموا بني جنسهم بفرح» (روح النبوة، خدمة الشفاء، صفحة ٦٦).

مرة أخرى، نحن لا نفعل أعمالًا صالحة — نهتم بالفقراء، ونُناصر ونرفع المظلومين، ونُشبع الجياع — لكي نربح الخلاص أو ننال رضى الله. ففي المسيح، وبالإيمان، ننال كل الرضى الذي سنحتاجه من الله. ولكن بالأحرى، نحن ندرك أنفسنا أننا خطاة وضحايا الخطية، ولكن بالرغم من ذلك، نحن محبوبون ومفديون من الله. وبينما ما زلنا نتصارع مع تجارب محبة الذات والطمع، فإن نعمة الله المضحية بالذات والمتواضعة تقدم نوعًا جديدًا من الحياة والمحبة اللتين ستجددان حياتنا.

عندما ننظر إلى الصليب، نرى التضحية العظيمة والكاملة التي قُدِّمت لأجلنا ونُدرك أننا لا نستطيع أن نضيف شيئًا لما توفره هذه التضحية لنا في المسيح. ولكن هذا لا يعني أننا يجب ألا نفعل شيئًا كاستجابة لما استلمناه في المسيح. على العكس، يجب علينا أن نستجيب ونتجاوب، وأية طريقة أفضل للاستجابة للمحبة التي أُظهرت لنا، مِن أن نُظهر المحبة للآخرين؟

اقرأ ١يوحنا ٣: ١٦، ١٧. كيف تستأسر هذه الآيات بقوة ما يجب أن تكون عليه استجابتنا للصليب؟

بشريتنا المشتركة

عن طريق خدمته وتعاليمه، حثَّ يسوع على الشمولية المُطلقة. كل من سعى خلف اهتمامه ببواعث مُخلصة — سواء كانت امرأة ذات صيت سيء، عشَّار أو جابي ضرائب، بُرْص، سامريون، قادة مائة رومانيون، قادة دينيون، أو أولاد — استقبلهم بدفءٍ صادق واهتمام. وإذ كان على الكنيسة الأولى أن تكتشف بطرق تحويلية، فقد شمل هذا تقديم هبة الخلاص.

إذ أدرك المؤمنون الأوائل ببطء شمولية الإنجيل، لم تكن أعمالهم الصالحة نحو الآخرين مُجرَّد إضافة لإيمانهم كشيء ‹جيد أو جميل› ليفعلوه. لقد كان ذلك جوهريًا لفهمهم للإنجيل، كما كانوا قد اختبروه في حياة وخدمة وموت يسوع. وإذ بدأوا يتصارعون حول الموضوعات والمسائل التي نشأت، أولًا بصورة فردية بين القادة مثل بولس وبطرس (انظر، مثلًا أعمال الرسل ١٠: ٩-٢٠)، ثم كجسد كنيسة في مجمع أورشليم (انظر أعمال الرسل ١٥)، بدأوا يُدركون التحول الهائل الذي أحدثته تلك الأخبار السارة في فهمهم لمحبة الله وشموليتها وكيف يجب أن تُعاش في حياة أولئك الذين يعترفون أنهم أتباعه.

ما الذي تُعلِّمنا إياه كل واحدة من الآيات التالية عن بشريتنا المُشتركة؟ كيف يجب أن تؤثر كل فكرة في سلوكنا وتصرفنا تجاه الآخرين؟

ملاخي ٢: ١٠

أعمال الرسل ١٧: ٢٦

رومية ٣: ٢٣

غلاطية ٣: ٢٨

الآية الواردة في غلاطية ٣: ٢٨ هي ملخص لاهوتي للقصة أو المثل العملي الذي ذَكَرَه يسوع عن السامري الصالح. فبدلًا من المجادلة حول مَن هم الذين نحن مُلزمون لخدمتهم، اذهب واخدم فقط، وربما عليك أن تكون مُستعدًا لأن تُخدَم حتى مِن قِبَل أولئك الذين قد لا نتوقع منهم أن يخدموننا. إن العنصر المشترك للعائلة البشرية العالمية يمكن إدراكه على مستوىً أعلى في العائلة المشتركة لأولئك الذين يرتبطون معًا بالإنجيل، بواسطة محبة الله المُخلِّصة التي تدعونا للوحدة فيه: «لأننا جميعنا بروح واحد أيضًا اعتمدنا إلى جسد واحد، يهودًا كُنا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارًا» (١كورنثوس ١٢: ١٣).

البشارة الأبدية

إنَّ دعوة والتماس الإنجيل المُغيِّرة لـ «كل أمة وقبيلة ولسان وشعب» (رؤيا ١٤: ٦) قد استمرت طوال التاريخ المسيحي. غير أن، سفر الرؤيا يصف إعلانًا متجددًا لهذه الرسالة — الأخبار السارة عن يسوع وكل ما يتضمَّن — في نهاية الزمان.

اقرأ رؤيا يوحنا ١٤: ٦، ٧. كيف هو المفهوم العام للبشارة (الإنجيل) — كما هو مُلخَّص عادة في إنجيل يوحنا ٣: ١٦ — متضمنًا في رسالة الملاك المحددة في العدد ٧؟

الآية في رؤيا يوحنا ١٤: ٧ تجمع معًا ثلاثة عناصر أساسية أشرنا إليها سابقًا في هذه الدراسة عن قلق الله بشأن الشر والفقر والظلم عبر كل قصص الكتاب المقدس:

الدينونة. الالتماس في طلب الدينونة — لتطبيق العدل — كان دائمًا دعوة متكررة عبر التاريخ من قبل أولئك الذين تعرَّضوا للظلم. لحسن الحظ، يُصوِّر لنا الكتاب المقدس الله كإله يسمع صرخات أولئك الذين هم في ضيق. وغالبًا تمَّ التعبير في المزامير، مثلًا، بأنَّ أولئك الذين تتم مُعاملتهم بغير عدل يعتبرون الدينونة أخبارًا سارة.

العبادة. غالبًا ما تربط كتابات أنبياء العهد القديم بين موضوعي العبادة والأعمال الصالحة، خاصة عند مقارنة عبادة أولئك الذين يدَّعون أنهم شعب الله مع الأخطاء التي يقترفونها ويستمرون في اقترافها. في إشعياء ٥٨، مثلًا، أكَّد الله تحديدًا بأن العبادة التي يطلبها بالأكثر هي أعمال الرحمة والاهتمام بالفقراء والمحتاجين (انظر إشعياء ٥٨: ٦، ٧).

الخليقة. كما رأينا سابقًا، إحدى العناصر الأساسية لدعوة الله للعدل هي العائلة البشرية المشتركة، ذلك أننا جميعنًا خلقنا على صورته ومحبوبون منه، وأننا جميعًا لنا قيمة في نظره وأن لا أحد يجب أن يُستغل أو يُظلم من أجل مكاسب غير مشروعة وطمع. يبدو واضحًا بأن إعلان البشارة هذا الخاص بنهاية الزمان هو دعوة واسعة وبعيدة المدى لقبول النجاة، والفداء، والاسترداد الذي يريده الله للبشرية الساقطة. وبالتالي، حتى في وسط الأمور المتعلقة بالعبادة الحقيقية والكاذبة، والاضطهادات (انظر رؤيا يوحنا ١٤: ٨-١٢)، سيكون لله شعب يقف إلى جانب الحق، لوصايا الله وإيمان يسوع، حتى وسط أفظع الشرور.

كيف يمكننا أن نجد طرقًا لخدمة الذين هم في احتياج بينما في نفس الوقت نشارك معهم الرجاء وكذلك الإنذار الوارد في رسائل الملائكة الثلاثة؟

الجمعة

٦ أيلول (سبتمبر)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة: من مشتهى الأجيال، الفصل الذي يحمل عنوان «الله معنا»، صفحة ١٧-٢٤؛ ومن خدمة الشفاء، الفصل الذي يحمل عنوان «خلصوا ليخدموا»، صفحة ٦٠-٧٠.

«إنَّ الله يطالب بالأرض كلها ككرمه. فمع أنها الآن في أيدي الغاصب، فهي ملك لله. فهي له بحق الفداء كما أنها له بحق الخلق. لقد قدَّم المسيح نفسه ذبيحة لأجل العالم: ‹هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذلك ابنه الوحيد› (إنجيل يوحنا ٣: ١٦). فبواسطة تلك الهبة الواحدة تمنح كل هبة أخرى للناس. وفي كل يوم يتناول العالم كله البركة من الله. فكل قطرة من قطرات المطر، وكل شعاعة من أشعة النور المنسكبة على جنسنا غير الشكور، وكل ورقة وزهرة وثمرة تشهد لطول أناة الله وحبه العظيم» (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٢٩٧، ٢٩٨).

«ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر»، «صرتم قريبين بدم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٨؛ أفسس ٢: ١٣). «فمهما يكن الاختلاف في العقيدة الدينية فإنَّ النداء الصادر من الإنسانية المتألمة يجب أن يُسمع ويُجاب...

«كل من حولنا نفوس مسكينة مجرَّبة وتحتاج إلى كلمات العطف وأعمال العون. فتوجد أرامل يحتجن إلى العطف والمساعدة. كما يوجد يتامى أمر المسيح تابعيه أن يقبلوهم كأمانة مسلَّمة لهم من الله. وفي أغلب الأحيان يمر الناس على هؤلاء ويهملونهم. وقد يكونوا رثي الثياب وخشني الطباع، ويبدو أنهم منفردون في كل شيء، لكنهم مع كل ذلك خاصة الله. لقد اشتروا بثمن، وهم أعزاء في نظره مثلنا تمامًا. وهم أفراد في أسرة الله العظيمة، والمسيحيون كوكلاء لله مسؤولون عنهم» (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٣٨٩).

أسئلة للنقاش

١. في سعينا لعمل الصلاح ومساعدة الآخرين، كيف يمكننا مقاومة التجربة للتفكير بأن ذلك، بطريقة أو بأخرى، يجعلنا أفضل ويُكسِبنا استحقاقات يجب أن يعترف الله بها؟

٢. هل تُعتبر كنيستك مجتمعًا ‹لا خلاف فيه›، بل أن الجميع واحد في المسيح؟ كيف يمكن أن تكون كذلك بشكل أفضل؟ ما مدى شمولية كنيستك للآخرين؟

٣. كيف نجد التوازن الصحيح في عمل الصلاح للمحتاجين، إذا لم يكن لأي سبب آخر غير أنهم في حاجة ويمكننا مساعدتهم، بينما في ذات الوقت نتواصل معهم بحقائق الإنجيل والأخبار السارة؟ كيف يمكننا تعلم القيام بالأمرين معًا، ولماذا من الأفضل دائمًا عمل ذلك؟

ملخص: إنَّ محبة الله التي ظهرت في خطة الخلاص وتثبتت عمليًا في حياة وتضحية يسوع تمنحنا الغفران، والحياة، والرجاء. وكمتلقين ومُستقبلين لنعمة الله، علينا أن نسعى لمشاركة الآخرين بذلك، ليس لربح الخلاص، ولكن لأننا خلقنا وأُعيد خلقنا لعمل ذلك. وهكذا، فالأخبار السارة (الإنجيل) تُغيِّر العلاقات وتدفعنا للخدمة، خدمة أولئك الذين هم الأكثر احتياجًا بشكل خاص.